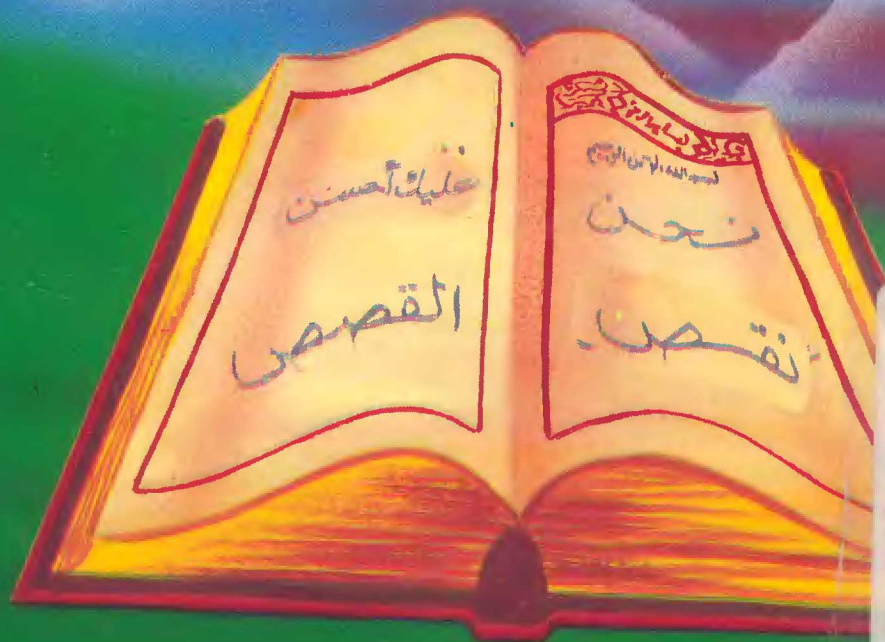


قصص القرآن

للأطفال



297

المكتبة التوفيقية

الشيخ / محمد الصايم

قَصَصُ الْقُرْآنِ

لِلْأَطْفَالِ

للمشيخ محمد الصائغ
معلماء الأزهر

المكتبة التوفيقية

إمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]

● أبنائي الأعزاء

كل حديث - يا أبنائي - نبدأوه بحمد الله ، والصلاة والسلام على رسول الله - سيدنا محمد وعلى آله وصحابه وسلم .

نحن - يا أبنائي - سوف نعيش في هذا الكتاب الذى ألفته من أجلكم ، وأنا به وبكم سعيد ، لأننى أقدم لكم أحسن القصص - قصص القرآن الكريم . . الذى هو أصدق القول . . لأن من خلال قصصه نتعلم العقيدة السليمة - والتربية الصحيحة . . . نعيش مع الأحداث التى فيها كل الخير والحب والتى تملأ القلب نوراً و يقيناً .

أبنائي الأعزاء - أحداث التاريخ ليست لمجرد أن نحكيها نتسلى بها ثم ننساها . . ولكنها قبل أن تكون تسلية فهى تربية للعقول وللنفوس لما تحمله من عبر وعظات ودروس . . من حياة أقوام سبقونا كان فى حياتهم عقاباً من الله وثواباً حسب أحوالهم وحسب طاعتهم لله وإتباعهم سنن أنبيائهم .

أبنائي - إن القلوب العامرة بالموعظة خيراً من القلوب التى تُمَلَأُ بالسفاهات والخرافات والحكايات التى لا غاية منها ولا هدف لها . . فتعالى معى - نرجع إلى التاريخ السابق نعيش أحداثه ونتعلم من نتائجه ، وبذلك نرقى بأنفسنا ونسموا بأرواحنا . . مع قصص القرآن الكريم ، مع الأنبياء والمرسلين . مع كتابنا هذا وما يحويه من عبر الأولين نعيش مع القصص - مع هذا الجهد

المتواضع الذى أقدمه لكم - أبنائى الأعزاء - والذى أسأل الله - عز وجل - أن
يتقبله منى وأن ينفع به القراء وأن يأجرنا إن أصبنا وأن يعفو عنا إن زللنا . إنه
سميع قريب مجيب الدعاء ،

هذا وبالله التوفيق
محمد أحمد محمد على
شهرته / محمد الصايم

القاهرة - المعادى الجديدة
صقر قريش

● صراعٌ فوق الأرض

✽ أسرةٌ سعيدةٌ :

نزل آدم وحواء إلى الأرض - بعد عصيان آدم - وقد تاب الله عليه .
ولكن الله أمره بالهبوط إلى الأرض ثم إعمارها بالحرث والزراعة . . عاش آدم وحواء يزرعان ويأكلان في هناء وسرور . . وفجأة حملت « حواء » فأخبرت آدم بذلك فسعد جداً أنه سوف يكون له أبناء قرّة عين لهما . . بهم يتم الأنس والبهجة والسرور .

ومرت الأيام ووضعت « حواء » ما فى بطنها وكان « توءم » ذكرٌ وأنثى . .
ولأنها أول مرة يرى فيها آدم وحواء « أبناء » فقد جلسا يتأملان فيهما ويسعدان بهما . . ولأن هذه أول ولادة فسميا الذكر « قابيل » ولكن الأنثى لم نقف على إسمها . . ولكنها كانت جميلة جداً تحمل صفات أمها « حواء » وتحمل قسمات البراءة والهدوء . . كان آدم يخرج من البيت ليسعى ثم يعود فى أى وقت . . .
ولكنه الآن أصبح يعود سريعاً حباً فى الأسرة السعيدة . . التى هى أول أسرة على وجه الأرض . . بل هى الخلية الأولى التى سوف تتكون منها البشرية -
مجتمعات وعمران - . . . ومضت أيام وأيام . . وكبرت بطن حواء مرة أخرى . . إنه حملٌ جديد ونبأ سعيد . . وبدأ آدم يُعدّ الأيام لوضع حواء ويشملها بحبه ورعايته فقد أصبحت أم الأبناء . .

ومضت الأيام والشهور . . وآدم وحواء ينتظران على لهفٍ نزول الحمل الجديد . . ثم وضعت حواء « توءم » - أيضاً - كالمرة الأولى ذكراً وأنثى فسميا الذكر « هابيل » ولكن الأنثى لم نعرف اسمها كانت جميلة ولكن ليست بدرجة الأخت الأولى - وكل شيء يخلقه الله بحكمة وقدر

● كفاح الأب

وعمت الأسرة - سعادة غامرة - بـ « التوائم » الجديد وبدأت الأصوات تكثر في البيت - إنها أول خليته يتشرب منها البشر . . وفي وسط هذه السعادة . . كان آدم يفكر كثيراً - لقد زادت أعباؤه وكبرت مسؤوليته . . ولكنه يستعين بالله ويلتزم الصبر . . ويخرج مع شروق الشمس مكافحاً ويعود آخر النهار لأبنائه محملاً بما يشتهون من طعام وشراب .

كان « آدم » ينظر بأمل وينتظر الأيام ليكبر الأبناء الذكور ليشاركوه حياته الإقتصادية . . وبلغ قابيل مسعاه وبدأ يعمل مع أبيه آدم في « الفلاحة » زراعة الأرض وأثمرت الأشجار وكثرت الخيرات وزاد الحب بين أفراد الأسرة - وذلك بأن بدأ « هابيل » يهتم هو الآخر بحياة والديه وإخواته فما أن بلغ مسعاه حتى أحب الاشتغال « بالمرعى » أغنام وأبقار ينتج عنها ألبان ولحوم - وزاد الخير

وسعدت الأسرة التي يرفرف عليها الرضاء . . كبرت الفتاتان وطمغى عليهما جمال الأنوثة وازداد حب قابيل وهابيل للفتاتين ، ولكن هابيل كانت تميل إليه أخته « توعم » قابيل ، وهو يبادلها نفس الشعور وكانت كما ذكرنا أكثر جمالاً من أختها . . . أما الحب بينهما فتلك إرادة الله . . ليتزوج الأخ الأكبر من توعم أخيه الأصغر . . . ولكن هذا الوضع لم يسترح له « هابيل » وبدأت تأخذه الغيرة على أخته توعمه يريد لها لنفسه وهى ترفض .

● فرصة الشيطان

لم ينس « إبليس » اللعين لآدم - ما تفضل الله به عليه . . عندما أمره بالسجود لآدم . . وعندما إختاره الله خليفته فى الأرض . . وقد قام اللعين «إبليس» سابقاً بالوسوسة لآدم حتى أوقعه فى العصيان . . ولكن الله تاب عليه . . . وها هو الآن - لعنه الله - يتربص بآدم ويحوم حول الأسرة السعيدة ليجد أى فرصة ليدب بينها الحقد والخلاف .

أبنائى الأعزاء -- لقد جاءت الفرصة لإبليس بأن وسوس لقابيل ليشعل نار الحقد فى قلبه ويوهمه أن هابيل بل والأب آدم يكرهانه والدليل عدم النزول على رغبته ليتزوج من أخته توعمه ولكنه يعلم أنها تُحب هابيل واشتدت

العداوة بينهما .. واشتد حب هايل لأخت قايل وهى تبادلته الحب الذى زرعه الله فى قلوبهما .

كان آدم -عليه السلام- ، يعيش مع أبنائه المشكلة ويحزن لما صارت إليه العلاقة بينهما ... ويلعن إبليس ، الذى يريد خراب هذه الأسرة .

● آدم والتحكيم

فكر آدم كثيراً واستعان بالله - ووجد حلاً لهذه المشكلة .. واجتمع بالأسرة .. وطلب من قايل أن يقدم قرباناً ومن هايل أن يقدم قرباناً .. ومن يتقبل قربانه عند الله .. يفوز بهذه الفتاة كان قايل يعمل بالزراعة .. فأحضر خضرواته وقمحه وغيره من المزروعات ووضعها على حافة الطريق ... وقام هايل وكان يعمل برعى الغنم بذبح بعض الشياة .. وقدمها .. ثم باتا وأصبحا اليوم الثانى .. فوجد قايل خضرواته قد أصابها الذبل والجفاف .. فغضب أما هايل فلم يجد شيئاً مما ذبحه حيث أكلته الطيور والسباع .. ففرح .. ولكنه خائف من غضب قايل .. وجاء آدم .. وقال لهما : هذا حكم الله فأنزلوا عليه أبنائى وأغلقوا باب الشيطان .

ثار وهاج قايل قائلاً : كيف يتقبل من أخى ولم يتقبل منى .. فقال آدم : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

● إبليس يعود

أيقن قابيل أنه لن يفوز بالفتاة فقال فى نفسه إن هذه خسارة كبيرة . . وجاء إبليس مرة ثانية ليوسوس له : من الذى يقف فى وجه رغبتك ويحول دون سعادتك أليس هو هابيل ؟؟ ! إذن لماذا لا تتخلص منه وبذلك تنتهى المشكلة وتعيش مع فتاتك سعيداً . . . وأختمرت الفكرة الإبلسية فى رأس قابيل . . وبدأت مضايقاته تزداد لأخيه هابيل وهابيل صابراً على هذا الإيذاء مفوضاً أمره إلى الله .

● الجريمة

بدأ قابيل يصرح لأخيه أنه يريد أن يقتله فكان رد هابيل : ﴿لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بياسط يدى إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين﴾ . . فلما رأى أن قابيل مصمم على جريمته قال له : ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾ .

بات قابيل يفكر والشیطان له يوسوس حتى تحركت الجريمة فى جميع جوارحه . . وأصبح وفى يده فأس واتجه إلى أخيه يناقشه فى نفس الأمر ويهدده بالقتل وهابيل صابر محتسب ، ثم هوى على رأسه بالفأس فقتله . . علم آدم بالخبر فحزن حزناً عميقاً . . وفوض أمره إلى الله . . ولعن الشيطان الرجيم .

● النادم الخاسر

وقف القاتل بجوار المقتول . . يأخذه العجب - إنها أول جريمة تقع على وجه الأرض - وندم قابيل على فعلته . . وأحтар فى أمر أخيه . . ماذا يصنع به . . وبينما هو يحملق هنا وهناك . . . إذ رأى غراباً يمشى على الصحراء ويحمل غراباً ميتاً . ثم يحفر فى التراب « أو الرمال » ويدفن الغراب الحى الغراب الميت . . . دهش قابيل وندم على فعلته وحاول أن يقلد الغراب ﴿ ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين ﴾ ، إنه الندم على أشبع جريمة إنه الخسران بارتكابها . . وفى النهاية علم الإنسان ماكان يدبره له الشيطان ، وقد جاءت هذه القصة فى القرآن الكريم :

يقول الله عز وجل : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ * ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ

النَّادِمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٧ - ٣١]

● الْعَبْدُ الصَّالِحُ يَعْلَمُ مُوسَى

أبنائي الأعزاء - تعالوا معي لنعيش مع القصة الثانية من قصص القرآن الكريم . . . وهذه القصة شائعة جداً لأنها مملوءة بأحداث كثيرة وكبيرة بل ومفيدة تعالوا معي نتعلم آداب طلب العلم . . وكيف يكون المعلم مع التلميذ وماهى آداب طالب العلم تجاه معلمه ؟ . . كل هذا وكثير سوف نعرفه من هذه القصة .

● موسى الواعظ

كان موسى - عليه السلام - بليغاً متكلماً قوى الحجة سريع البديهة . . . وفى محفلٍ عامٍ إمتلأ ببني إسرائيل من كل مكان يستمعون لنبيهم موسى - عليه السلام - ويسألونه وهو يجيبهم . . . حتى إذا إنتهت الموعظة وأجاب موسى على كل الأسئلة - وقبل أن ينصرف توجه إليه رجلٌ يسأله قائلاً : يا موسى هل هناك من هو أعلم منك على وجه هذه الأرض ؟ - فكر موسى قليلاً . أليس هو كريم الله . . أليس هو صاحب المعجزات من العصا لليد البيضاء . . أليس الله قد نصره على فرعون ؟ . . ثم أجاب السائل : أنا أعلم أهل الأرض قاطبة . . . واستعمل موسى « أنا » كما أن إجابته ليس فيها التواضع . . فعاتبه الله - عز وجل - . . وأعلمه أن هناك من هو أعلم منك . . . إنه رجل « عبدٌ صالح »

مكانه عند مجمع البحرين ، وعليك أن تذهب لتتعلم منه . . . وهنا أحس موسى الندم واستشعر أنه لم يكن مُصيباً في إجابته .

● الفتى والحوت

بدأ موسى - عليه السلام - الإعداد للرحلة . . وكان لديه غلام أمين هو « يوشع بن نون » فاستدعاه ليكون رفيقه في السفر . . . ولكن موسى - عليه السلام - سأل الله أن يجعل له علامة أو دلالة لمعرفة مكان العبد الصالح . . . فدلّه الله على « حوت »^(١) يوضع في مكمل^(٢) وحيثما تفتقد الحوت يكون مكان الرجل الصالح وبدأت الرحلة ، موسى ويوشع بن نون يقطعان الصحراء حتى بلغا مجمع البحرين . . وموسى ينظر هنا وهناك لعله يجد العبد الصالح . . وفي شدة الحر والتعب . . يقول : يوشع بن نون . . هل لنا ياسيدى أن نتوقف هنا . . ولكن موسى رفض مصمماً أنه لن يتوقف ولن يهدأ له بال حتى يحصل على غايته

وبلغ موسى وفتاه « يوشع بن نون » بالقرب من الشاطئ حيث الهواء الرطب والأشجار ترفرف . . فأحس موسى بالتعب فأخذته سنة من النوم . . أما الفتى فقد ذهب إلى ربوة لينظر من عليها يمينا وشمالاً لعله يجد العبد الصالح

(٢) المكمل : المعطف

(١) سمكة كبيرة

... وفى هذه الحالة تسلل الحوت من المعطف ونزل الماء ، واتخذ طريقه فى البحر سرباً ، وأفاق موسى من غفلته وقد استعاد نشاطه وطلب من الفتى مواصلة السير . . حتى إذا بلغ موسى مكاناً مرتفعاً - قال لفتاه - هيا بنا نجلس هنا لنستريح ونتناول الغداء . . وطلب من يوشع بن نون أن يفتح المعطف ليستخرج الطعام . . وهنا تذكر يوشع بن نون - أنه نسى المعطف وبه السمكة عند الصخرة التى كنا عندها . . واستبشر موسى وقال له هيا بنا نرجع إلى الصخرة سريعاً فإن هذه هى علامة وجود الرجل الصالح . . . ورجعا سريعاً إلى المكان فلم يجدا الحوت . . وبينما موسى ينظر هنا وهناك ويبحث عن العبد الصالح . . وكذلك الفتى « يوشع بن نون » كانت المفاجأة .

● مرحباً بالعبد الصالح

إن المفاجأة هى - يا أبنائى - رجلٌ على الصخرة مهيبُ المنظر يُشعُ وجهه نوراً هادئاً الحديث متواضع الشخصية - إنه العبد الصالح - فتقدم منه موسى وقال له : أأنت العبد الصالح ؟ قال : نعم يا موسى . . ولم يكن قد رأى موسى قبل ذلك ﴿ فوجدا عبداً من عبادنا صالحاً أثيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً ﴾ . . جلس موسى مع العبد الصالح - متأملاً مفكراً . . ثم استأذن من العبد الصالح أن يُصاحبه ليتعلم منه .

نظر العبد الصالح إلى موسى «عليه السلام» بإشفاق وقال : يا ولدى إن مصاحبتى أمر صعب فإنه تقع من الأمور ما لا يتقبله العقل البشرى... فكيف بك؟ .. ولكن موسى أبدى استعداداه لكل ما يشترطه عليه المعلم «العبد الصالح».

● شروط العبد الصالح

اشتراط - يا أبنائى - المعلم وهو العبد الصالح على المتعلم وهو موسى - عليه السلام - شرطين :

أولهما: الصبر

ثانيهما : عدم الإكثار من الاستفسار .

وقبل موسى ذلك وقال له عن الشرط الأول : ﴿ ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً ﴾ .

وجاء الشرط الثانى فى قوله تعالى : ﴿ قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشداً . قال إنك لن تستطيع معى صبراً . وكيف تصبرُ على ما لم تحط به خبراً . قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً . قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ .. وقبل موسى - عليه السلام - شروط العبد الصالح ... وأحسن العبد الصالح من موسى صدق نيته واستعداداه وقوة همته .

● مع الرحلة

أبنائى الأعزاء - نعيش الآن مع هذه الرحلة العلمية الشيقة . . نعيش مع الأحداث وما نتج عنها من عبر وعظات . . . نرى الآن العبد الصالح ينظر إلى سفينة فى عرض البحر وينادى على قائدها ليقرب ليركبا - ويهمس العبد الصالح فى أذن موسى . . سوف نعبّر الشط الآخر . . . وبدأ فى تهئية موسى لما سيلاقيه بأن يعلمه أن علم الله ليس له حدود وأنه فوق كل ذى علمٍ عليم وأن هذا الكون به من الأسرار ما لا أعرفه أنا ولا أنت ولا يعلم كامل غيبه إلا الله . . وأن مثل علمى وعلمك يا موسى كطائر شرب من هذا البحر العظيم فلا ينقصه شيئاً . . ثم جاءت السفينة وركبا المعلم والمتعلم فى تواضع وخشوع

● الموعظة الأولى

اقتربت السفينة من الشاطئ - وموسى - عليه السلام - والعبد الصالح يتحدثان عن نعم الله وقدرته . . . وقبل أن ترسو السفينة . وإذ بالعبد الصالح يُمسك بقدوم ويضرب فى جنب السفينة حتى خرقها - خرقاً يُعييها ولأُيغرقها . . . وأندهش موسى وأخذ العجب ولم يتمالك نفسه قائلاً ماذا فعلت؟ إنهم قومٌ أكرمونا وأوصلونا ولم يأخذوا منا أجراً أفيكون هذا جزاؤهم ؟!

قال العبد الصالح : يا موسى ألم أعاهدك أن تصبر أم لا؟ .. فاعتذر موسى -عليه السلام- وقال: لا تؤاخذنى إني نسيت وستجدنى إن شاء الله صابراً وأرجو قبول عذرى ... فسامحه العبد الصالح وواصل المسير

● الموعظة الثانية

إنجى العبد الصالح يرافقه «موسى» إلى قرية ساحلية.. وقبل أن يدخلها القرية.. نظر العبد الصالح إلى مجموعة من الأولاد يلعبون ويمرحون فى فرح وسرور.. فتقدم منهم وأمسك بسلام من وسطهم ووضع يده حول عنق الغلام وضغط ضغطه قوية زهقت فيها روح الطفل ومات... والأولاد ينظرون فى دهشة لما حدث لقرينهم .. والأشد دهشة موسى -عليه السلام- الذى لم يتمالك نفسه وقال للعبد الصالح « أتقتل نفساً بدون ذنب؟! » وهنا نظر العبد الصالح إلى موسى فى عتاب وهو يقول له : أين العهد الذى بينى وبينك يا موسى؟ أنت لن تستطيع أن تصبر على مقدرات العلم الإلهى .. فتأسف موسى للعبد الصالح مرة ثانية وهو يقول له : لقد بلغت أكبر الاعتذار فأرجو أن تسامحنى وسوف لا أسألك عن شئ بعد ذلك .. تبسم العبد الصالح وسامح موسى .. واستمرا فى السير.

● الموعظة الثالثة

يمشى الآن العبد الصالح فى هدوء ، وبجواره موسى يسير وقد كتم ما بداخله من تعجب وشوق لأن يعرف أسباب كل ما يجرى على يد هذا العبد الصالح . . وسارا إلى قرية وهناك سأل العبد الصالح أهلها أن يعطوهما طعاماً لأن الجوع قد أشتد عليهما . . ولكن أهل القرية رفضوا أن يعطوهما طعاماً أو شرباً - إنهم بخلاء - فتوجها سيراً فى طريق طويل حتى وجدا بستاناً - فقال العبد الصالح هنا بجوار هذا البستان سنستريح وجلسا - وفجأة قام العبد الصالح إلى جدار مهدوم وأمر موسى أن يُناولهُ الأحجار وبدأ يبنى الجدار إلى أن تم البناء . . فتعجب موسى ولم يتمالك نفسه قائلاً: إنك بنيت الجدار ولو شئت لآخذت عليه أجراً . . وهنا قال العبد الصالح : ياموسى إنك عجزت عن الصبر على ما رأيت . . والآن أعلن لك أن هذا فراق بينى وبينك وسوف أشرح لك ما حدث والذي لم تستطيع عليه صبراً .

● الحكمة الإلهية

هنا - يا أبنائى - بدأ العبد الصالح يُفسر لموسى -عليه السلام- ما حدث

فقال :

أولاً: السفينة كانت ملكاً لمساكين يعملون عليها ويتقوتون منها . . . ، ولكن ملك هذه البلاد أصدر أوامره بأن يأخذ كل سفينة صالحة جميلة من أهلها غصباً . . فخرقتها لأعيبها حتى تبقى للمساكين ولا يستولى عليها الملك .

ثانياً: أما الغلام فكان ابناً لأبوين مؤمنين صالحين . . ولكن هذا الغلام كان منتظراً منه مستقبلاً أن يكون كافراً فاجراً يرهق الأبوين وبه يشقيان فأراد الله - عز وجل - له الموت حتى يعوضهما ولدأ آخر صالحاً - وهذه حكمه الله ياموسى .

ثالثاً: أما الجدار ياموسى . . فكان ملكاً لأخوين يتيمين مات أبوهما - وكان صالحاً - منذ فترة وتحت هذا الجدار المتهدم كنز للغلامين فلو ترك هكذا لأخذه الناس منهما . . فأراد الله للكنز الحفظ حتى يبلغ الغلامان أشدهما ويستخرجا الكنز

وأعلن العبد الصالح لموسى - عليه السلام - . . هنا ياموسى نفترق ، ولكن قبل ذلك أقول لك : إن كل ما فعلته إنما هو بأمر من الله عز وجل . . وليس من عند نفسى . . ومضى العبد الصالح فى طريقه ورجع موسى الى حيث كان . . وقد استفاد علماً كثيراً بل وتواضعاً .

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه القصة كاملة يقول الله - عز وجل - : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى

آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن
 لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (٦٦)
 قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا
 (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي
 فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي
 السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ
 إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ
 أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ
 نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا
 (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا
 (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا
 فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ
 هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ
 فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ
 كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا
 وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا
 الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
 صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ
 عَنْ أَمْرِ ذَلِكِ فَأَوْيَلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) [الكهف : ٦٠ - ٨٢]

● فتية الكهف

أبنائى الأعزاء - تعالوا معى لنعيش مع قصة أهل الكهف وما فيها من عبر وعظات وهى وإن كانت - أى القصة - فى عهد قديم إلا أن القرآن الكريم ذكرها لتكون عبرة يُقاس عليها أحداث التاريخ لأن هناك من الأحداث التاريخية ما وقعت بعدها وأبان لنا الله فيها - أيضاً - انتصار الحق على الباطل .

● صراع بين الإيمان والكفر

تميز هذه القصة التى بين أيدينا بتائجها العظيمة لأنها صراع بين الحق والباطل فى مدينة قديمة كان يحكمها ملك فاسد العقيدة فاسد الخلق تحيط به حاشية النفاق والضلال حتى فسد المجتمع كله وانتشرت عبادة الأوثان وفسدت النساء وأصبح الفجور ظاهرة عامة وترعرع الشيطان يرتع هنا وهناك إلا أن مجموعة من الشباب «فتية» كانوا سبعة أو ثمانية لا يعلم عددهم إلا الله كان هؤلاء الشباب أهل إيمان وتقوى أخذتهم الغيرة على الدين ورفضوا هذا الفساد وما رأوه من انحلال وتمسكوا بالشجاعة لأنهم أصحاب حق وواجهوا الملك الفاسد وأعوانه ، ومن هنا بدأ الصراع إنه صراع بين الإيمان والكفر - صراع بين الحق والباطل .

● المواجهة

راح الشباب يعلنون للناس رأيهم فى شجاعة . . ووصل بهم الأمر إلى أن أبلغوا الملك بفساد عقديته ودعوه إلى عبادة الله الواحد القهار . . وأبلغوه أنه سيموت وأن هناك بعث ونشور ، ولكن الملك المغرور لم تعجبه هذه الدعوة وهاج وصال وجال ووقفت حاشيته تسانده فى فساد . . وبدأ هذا الحاكم يضيق الخناق على «الفتية المؤمنة» بما لديهم من سلطان وقوة فى العدد والمال . . أيقن الملك أن هذه الدعوة لو انتشرت سوف تسحق ملكه . . فاجتمع بحاشيته وقرر الخلاص من هؤلاء الشباب .

● الفرار إلى الله

أحسن الفتية بتدبير المكيدة فعزموا أمرهم على الفرار بدينهم . . واتجهوا صوب كهف فى قلب الصحراء وأسرع كلبهم الذى كان يرافقهم وراءهم ودخلوا الكهف . . ومع أن الكهف قريب من البلدة التى يعيشون فيها إلا أنه مهجور لا يوحى لأى ناظر بأن داخله أحد أو حتى يسكنه أحد . . . والمعروف أن الكهف يكون موحشاً ومأوى للحيوانات والشعابين وغيرها . . ولكن سبحانه الله . . ما أن دخلوا الكهف حتى شعروا بالهدوء والأمن . فجلسوا ليستريحوا وليدبروا أمرهم . أما الكلب فقد جلس بالباب وكأنه الحارس الأمين . . هدأت نفوس الفتية داخل

الكهف وعمتهم الرحمة ونزلت عليهم من الله السكينة.. واعلموا يا أبنائي
الأعزاء - أن توجههم للكهف إنما كان بإلهام من الله لأن الله ولى المتقين

غابت الشمس . وانخفضت الأصوات وبدأ النعاس يدب في رءوسهم
فاستعاضوا بالله وناموا مترامين أما الكلب فقد فح ذراعيه بالوصيد^(١)

وماهى إلا لحظات وكان الكل فى نوم عميق

● اطمئنان المؤمنين

ياسبحان الله .. إن المكان الموحش نهاراً الذى هو مخيف ليلاً أصبح
لأصحاب الكهف آمناً وأماناً حوله الله العلى القدير إلى نعمة وسكينة.. لأن
المؤمن عندما ينام يُسلم أمره لله الذى بيده مقاليد السموات والأرض.. أما الكافر
فهو جبان يخاف من كل شئ لا يعرف الهدوء والراحة .

لقد أنعم الله على أصحاب الكهف بأن جعلهم فى فجوة منه ﴿وهم فى
فجوة منه﴾ أى مستقبل للباب حتى يمر عليهم شعاع الشمس حتى لا تفسد
أجسادهم ، وفى نفس الوقت لا يضرهم ﴿تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا
غربت تقرضهم ذات الشمال﴾ ، وبذلك منحهم الله السكينة بالنوم والرحمة

(١) مدخل الكهف (الباب)

بهدهوء الكهف والحفظ بتزاور الشمس عليهم .. فهم يتقلبون مع حركتها .. إنها العناية الإلهية .

● بعث من رقاد

مرت الأيام والسنون على أهل الكهف .. وطالت شعورهم وأعينهم ثابتة كأنهم فى يقظة ﴿وتحسبهم أيقاظ وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ سبحان مغير الأحوال .. وفجأة وبعد السنين الطويلة التى تغيرت فيها أحوال مدينتهم بل تغيرت معالم التاريخ ومعاملات الناس ... وفجأة وبأمر الله استيقظوا من نومهم .. وهم يتساءلون مع بعضهم كم يوماً كنا نائمين؟ فيقول البعض : يوماً أو بعض يوم .. ويقول آخر : بل يومين أو ثلاثة .. ولكنهم نظروا إلى لحاهم وشعور رؤوسهم التى طالت وتعجبوا من أمر أنفسهم وأمر كلبهم .

● إكتشاف أمرهم

كان أول ما فكر فيه هؤلاء الفتية هو كيف يسدوا رمقهم فقد أخذهم الجوع .. فقالوا : قبل أن نفكر فى أى شىء أو ماذا سنفعل ؟ نرسل أحداً إلى المدينة ليحضّر لنا طعاماً . ثم أوصوا رسولهم أن يكون متلثماً - أى مخفياً وجهه - حتى لايعرفه أحد لأنه لو عُرِف فسوف يقبض عليه الملك وأعدائه فإما أن يقتلوا

ولما أن يكفروا . . وتوجه أحدهم يحمل نقوداً من العهود السابقة وهو لا يدري
أن الحكم تغير وأنه أتى سلطان مكان سلطان وهكذا . . .

ودخل المدينة فتعجب إن المدينة لم تكن هكذا إذن ما الذى حدث؟! البيوت
غير البيوت والناس غير الناس والمحلات ليست هي . . ورأى أن الناس ينظرون
إليه بعجب فمنظره غير مألوف، وأهل المدينة يعرفون بعضهم وهو فى وسطهم
كأنه غريب . . واندesh كثيراً لما رآه من عمران ومن بضائع لم يكن قد رآها . .

ثم تذكر ما جاء من أجله . . فقدم بعض النقود إلى البائع ليشتري منه
طعاماً . . وإذ بالبائع يصيح يالها من نقود أثرية مضى عليها سنوات وسنوات
والتف الناس حول الرجل يتعجبون من منظره ومن النقود التى معه . . وسألوه
هل عثرت على كنز من العصور السابقة؟ . . فلما رأى منهم ذلك فرّ هارباً راجعاً
إلى رفاقه فاتبع بعض الناس أثره وسعوا وراءه . . والبعض قام بإخبار الحاكم
الذى أرسل بعض الجنود للقبض عليه وعلى رفاقه .

●الوعد الحق

وصل الرجل إلى رفاقه بالكهف مزعوراً خائفاً وحكى لهم ما حدث له . .
فتساءلوا فيما بينهم ماذا نصنع؟ وما هو الحل؟ يبدوا أننا أخذنا النوم سنيئاً

طويلة . . وفوضوا أمرهم إلى بارئهم فأنزل الله عليهم سكينته وغشيتهم برحمته -
وقبل أن يصل إليهم الناس وجئد الملك - كانوا قد تحقق فيهم وعد الله وماتوا
جميعاً . . واصبحت سيرة هؤلاء الفتية - يا أبنائي - درساً وموعظة في البعث
والنشور ، إنها قدرة العلى القدير

وقد وردت قصة أهل الكهف في القرآن الكريم وشرفهم الله بأن جعل
باسمهم سورة في المصحف . . يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ
أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ
فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ
فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا
﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾
وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ
دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ
عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَرِثْتُمُوهُمْ
وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ
مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ
وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ
يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا

وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا (٢٠) وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِّشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكْ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴿ صدق الله العظيم [سورة الكهف : ٩ - ٢٦] .

● (الملك الصالح)

ذو القرنين

أبنائي الأعزاء - كان فيما مضى من القرون ملك آتاه الله الحكمه وعلمه تأويل الأحاديث وأفاض عليه بالعدل والصلاح ومكن له في البلاد وفي قلوب العباد .. حتى نجح في تشييد العمران وزراعة الأرض ونشر العدل بين الناس، إنه «ذو القرنين» .

كان « ذو القرنين » يحب الترحال - السفر من هنا إلى هناك يجوب الأرض ينشر فيها الصلاح ويقيم العدل بين الناس .. وذات مرة كان معه جنده إتحجه ناحية بلاد المغرب باحثاً عن ما في هذه البلاد؟ لديه استطلاع أن يعرف ما عليه الناس؟ حتى بلغ حدود المحيط الأطلسي .. الذي يعتقد الناس أن الشمس هناك تغيب - أى تغرب- وعند مغرب الشمس توقف بجيشه حيث لا طريق أمامه سوى الظلمات والطين اللازب والغابات الموحشة .

نورٌ وعدل

وفجأة وجد «ذو القرنين» أقواماً قد أحاطوا به أشكالهم مختلفة منهم الأسمر ومنهم الأبيض ومنهم الأصفر وأحجامهم متباينة فمنهم الطويل ومنهم

القصير حتى لغاتهم فإنها غير مفهومة . . انتظر ذو القرنين قليلاً ليتأمل أحوالهم -
فاتضح له - يا أبنائي الأعزاء - أن هؤلاء القوم منهم المؤمنون ومنهم الكافرون -
تعجب «ذو القرنين» من حالهم . . وعرفهم بنفسه وقصده فى الإصلاح فى
الأرض وأفهمهم مهمة الإنسان الذى هو خليفة الله فى الأرض وقال لهم إن
الصالحين فى الدنيا يحميهم الله وفى الآخرة لهم جنات تجري من تحتها الأنهار -
أما المفسدون فإنهم أهل الضلال فى الدنيا ثم يردون إلى ربهم ليدخلهم جهنم
وبئس المصير .

رأى « ذو القرنين » استجابة من الغالية فيهم فأعلن لهم دستورهم الذى كان
لهم نوراً وعدلاً - لقد استمعوا اليه وعملوا بما فيه فأصلح الله أحوالهم وأغدق
عليهم نعمه وعمت السعادة مجتمعهم - كل هذا - يا أبنائي الأعزاء - بالحب
والصدق لا بالسيف ولا بالقهر .

وبذلك التف الناس حول الملك الصالح لأنهم أحبه لعدله وشجاعته
وأخلاصه . . فوجدوا عنده الأمن والأمان . . حيث من عمل بالدستور يجد أن
للمجتهد أجره والصالح يأخذ طريقة للنجاح . . ، وأن الظالم يُضرب على يديه
بالحديد . . وأن المظلوم يؤخذ له حقه من الظالم .

● فتح مبین

انتهى « ذو القرنين » من رحلته بل من مهمته تجاه المغرب وأقام هناك بين الناس الإيمان والعدل . . أصبح « ذو القرنين » معه جيش قوى . فعقد النية على مواصلة المسير أخذاً بالأسباب . . وبدأ المسير يطوى الأيام والليالي ويمر على بلدان وعشائر يدعوهم للإيمان ويقيم بينهم العدل . . واتجه الملك الصالح بجيشه صوب المشرق حتى بلغ أقصى القارة الأفريقية - والتي ظلت تسمى بالقارة المظلمة إلى وقت قريب- هناك وجد أناساً تطلع عليهم الشمس مباشرة بدون ساتر . . فدعاهم للإيمان بالله وأفهمهم مبادئ دستوره - فأسعدوا بدعوته التي تحمل لهم ركائز الأمن والاستقرار . . هكذا كانت رحلات « ذو القرنين » فى الأرض نوراً وعدلاً .

● رحلة العودة

رأى « ذو القرنين » أن مهمته فى بلاد المشرق والمغرب قد انتهت . . وأن له أن يعود بجيشه إلى قاعدة ملكه ومقر حكمه « بلاد اليمن » . . كان القائد مسروراً فى رحلة العودة بما أنجزه من انتصارات حامداً الله متواضعاً غير مغرور معترفاً بفضل الله عليه . . وأثناء سيره ترامت إليه أخبار بلاد مظلومة . ولم يكن قد

وصل اليمن . . فسمع هذه الأخبار وحزن لأن هناك بلاداً تقع تحت طائلة الظلم . . هذه البلاد هي « بين السدين » إنها بلاد تتعرض للغزو من قوم غرباء يشنون حملات متقطعة عليهم يؤرقون بها حياتهم ويعبثون بمقدراتهم ويتركون فيهم الفوضى والظلم . . وكانت هذه البلاد تقع في أواسط القارة الآسيوية . . قرر « الملك » الصالح أن يتوجه بالجيش لإنقاذ هؤلاء الناس فوصل إليهم ووجد أن شعوب « يأجوج ومأجوج » الفاسدون والمفسدون يتسللون في كل يوم من سرداب تحت الجبل ثم يُغيروا على « بلاد بين السدين » فيحدثون بهم الفتن والقتال .

● انتصار جديد

أبنائي الأعزاء - كان الناس في بلاد ما بين السدين - لأول مرة يرون « ذو القرنين » وجيشه فظنوا أنهم مثل قوم « يأجوج ومأجوج » ففروا منهم إلى سفح الجبل . فنادى عليهم « ذو القرنين » وطمأنهم وأوضح لهم مهمته . . فحضرُوا إليه والتفوا حوله وقالوا له : أيها الملك الصالح نرجوا أن تقيم بيننا وبين هؤلاء القوم المفسدون سداً يحمينا من غاراتهم . . فأجابهم بأنه يستطيع صنع ذلك بقوة الله . . وبما تفضل عليه من مدد وعلم . . ولكن القوم خافوا من كثرة التكاليف وأجور العاملين مع الملك الصالح . . فقال لهم : لاتخافوا إن أجرى عند ربى . .

● بناء السد

فرح القوم بموافقة الملك الصالح على بناء السد . . نظر إليهم وقال لهم :
إجمعوا شتات - أى قطع - الحديد المتناثرة فى الصحراء . . فجمعوها ثم وضع
هذا الحديد فى الممر أو السرداب الذى كان ينفذ منه قوم يأجوج ومأجوج . . ثم
أشعل النار واستعان بهؤلاء البسطاء فى مساعدته لإكمال البناء فجعلوا ينفخوا فى
النار حتى انصهر الحديد ثم صب عليه كميات من النحاس . . فتساوى هو
والجبلىن الذى كان بينهما الخرق النافذ . . ثم أفرغ على الحديد والنحاس الماء
فجمد وصار قطعة واحدة مساوية للجبلىن قوية لا يستطيع أحد أن يثقبه أو ينفذ أى
شئ منه - وبذلك تمت المهمة - ووقف الجميع أمام هذا العمل العظيم يشكرون
ربهم . . أما «ذو القرنين» فقد إزداد تواضعاً وشكر الله - عز وجل - . . لأن
العظماء - يا أبنائى - إنما يتواضعون لله ويسعون فى خدمة عباد الله .

ثم واصل «ذو القرنين» رحلة العودة إلى بلاده باليمن وكله سعادة وفرح
وسرور ، وهكذا يكون أهل الصلاح . . يقول الله عز وجل فى قصة هذا
الصالح : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا
لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَاتَّبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ
مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا
الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ

نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿ صدق الله العظيم

[سورة الكهف : ٨٣ - ٩٨].

● (قَارُونُ الْبَاغِي)

قارون - رجل من بنى إسرائيل تربطه بموسى - عليه السلام - صلة قرابة وكان العصر يحكمه فرعون الطاغية كان لفرعون تلاميذ فى العناد والكفر يستبدون بالضعفاء ويستذلون الناس . . . وكان قارون أحد أعوان فرعون يعيش فى قرية باسمه فى منطقة «الفيوم» وهناك ولا زالت بحيرة باسمه حتى الآن يتذكر الناس فيها العبرة والموعظة . . كان لدى قارون من المال والجاه ما جعله يعيش فى غرور . . وبما أن «موسى - عليه السلام -» أرسله الله لتخليص بنى إسرائيل من السُّخرة واستعباد فرعون لهم . . فإن قارون كان من نوعية فرعون . . وقد آتاه الله من الكنوز ما تحمل مفاتيحها الجمال . وقد أغتر بذلك . . حتى أنه رفض أن يعترف بفضل الله وقال: إنما أوتيته على علم من عندى . . وكان يجلس فى قصره ويدعى أنه يرزق الناس وأن الله فضله عليهم .

● الشكر والكفر

أبنائى الأعزاء - إن المال قد يكون نعمة وقد يكون نقمة . . فالعبد الصالح يرزقه الله ليبتليه فى دنياه فيقول كما قال سليمان - عليه السلام - عندما آتاه الله الملك «رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل

صالحاً ترضاه»^(١) . . أما الإنسان الشرير فإن المال يطغيه ويدفعه للبغي على الناس كما كان قارون .

البلاغ المبين

كان «قارون» كما ذكرنا يمتلك من خزائن الذهب والفضة واللؤلؤ ما جعله ينسى الآخرة بل وينسى الضعفاء والفقراء . . وكان ينام مخموراً ويستيقظ فرحاً مسروراً . . وليته سكت عند هذا الحد بل كان يفتخر على الناس ويتحداهم أن يكون لديهم ربع أو بعض ما عنده ، ويلبس ثياباً من حرير ويخرج فى زينة مع حاشيته يركب بارجة تجرها الخيول ويطوف المدينة طالباً من الناس أن يعظموه .

علم موسى -عليه السلام- بكل ما عليه «قارون» فأرسل إليه بعض الحكماء يعظونه وليبلغونه أوامر الله . . ولكن قارون كان بهم مستهزئاً ومن دعوتهم ساخراً . . والله -عز وجل- يقول له ولأمثاله : ﴿ وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغى الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ . . . إن قارون لم يكن للآخرة فى حياته نصيب . . ولم يُحسن إلى محتاج ولم يرق قلبه لضعيف . . ولم يستمع إلى نصيح موسى ولم يعمل بإرشاده بل أغمض عينيه وصم أذنيه وسخر من موسى ودعوته .

(١) النمل : ١٩

● الفاجر يتحدى

ركب - قارون - رأسه وتحدى الحكماء وتحدى موسى - عليه السلام -
وخرج على قومه فى زينته متعجباً مفتخراً يتألق وحوله حاشية النفاق والخدم
والعبيد يدقون له الدفوف والغانيات الراقصات من حوله وهو فى لهو وغرور
إبليس اللعين وأعوانه يزينون له سوء عمله .. وفى المقابل كان موسى - عليه
السلام - والعلماء والحكماء يحذرون الناس من غرور «قارون» ويفندون لهم حجته
الباطلة .. ففهم كثير من الناس .. وعاش البعض فى خداع مع المغرور
وحاشيته .

● النهاية المؤلمة

أبنائى الأعداء - وكما هى نهاية كل ظالم - أن يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر
.. وأمام مشهد من الناس حيث يقف قارون وحاشيته متغطرساً .. أصدر الله
- عز وجل - أمره للأرض التى بدأت تهتز شيئاً فشيئاً تحت أقدام قارون وخزائنه ثم
أبتلغته فى مشهد عجيب وذابت خزائنه فى باطن الأرض . وأعوانه يتساقطون أمام
أعين الناس .. والمؤمنون يهللون ويكبرون بانتصار الله .. أما المنافقون
المخدوعون فاصفرت وجوههم وطأطأوا رؤوسهم لخبية أملهم وهكذا كانت نهاية
هذا الظالم الفاجر انتقاماً وعبرة لغيره ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ .

وتعالوا معي - أبنائي الأعزاء - لنرى ماذا يقول القرآن الكريم في قصة قارون : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَآنَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿

صدق الله العظيم [سورة القصص ٧٦

● (سُلَيْمَانُ وَبَلْقَيْسُ)

أبنائي الأعزاء - تعالوا معي لنعيش مع نبي من أنبياء الله . وهو نبي وملك
إنه «سليمان -عليه السلام-» الذي طلب من ربه أن يمنحه ملكًا لا يعطيه لأحد
بعده فقال : ﴿ رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴾^(١)
فأعطاه الله ملكًا عظيمًا شمل الجن والأنس وسخر له الرياح وأخضع له الطيور
والوحوش وعلمه منطق الطير وآتاه الحكمة والعدل وعلمه ما لم يكن يعلم وسأل
ربه أن يزيده في العلم قائلًا ﴿وقل رب زدني علما﴾ فزاده الله علمًا بأن جعله
يسمع الصوت البعيد يأتيه وهو في مكانه . . وكان سليمان -عليه السلام- شاكراً
لله ﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل
صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾^(٢) . وكان سليمان -عليه
السلام- قوى الإيمان متواضع الشخصية يرجع كل هذه العظومات لقدرة الله -عز
وجل- . ويشكره على ما تفضل به عليه ويعلم أن هذه الدنيا إنما هي دار ابتلاء
.. ﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن
كفر فإن ربي غني كريم ﴾ .

وسوف ترون - أبنائي - الآن بعض المعجزات التي منحها الله للنبي الملك

سليمان -عليه السلام- .

(٢) : النمل : ١٩

(١) ص : ٣٥

● وادى النمل

خرج سليمان - عليه السلام- ذات يوم ومعه جيشه القوى الجرار . . وبينما يسير متجهاً إلى كبد الصحراء حيث منطقة النمل - وادى النمل- سمع سليمان -عليه السلام- «نملة» رئيسة النمل تقول لهم : أسرعوا فى سيركم فإنى أرى سليمان وجنده قادمين - حتى لا يطأونكم بأقدامهم وهم لا يشعرون . . تبسم سليمان وضحك من قول النملة . وحمد الله وشكره على هذه النعمة . . أن جعله يسمع صوت النمل ويعرف لغته . . وأمر الجيش أن يتوقف حتى يعبر النمل طريقهم

● مع الهدهد

أبنائى - تسمعون كثيراً عن قصة الهدهد مع سليمان- ولنعرف الآن قبل الحديث عنه . . ماهى مهمته فى جيش سليمان -عليه السلام- ؟ . . كان لكل طائر أو حيوان أو إنسان مهمه مع سليمان . . وكان الهدهد هو المسئول عن معرفة الأماكن التى بها «ماء» حتى يشرب الجيش ويتوضئون للصلاة . . فقد منح الله الهدهد نعمة أن ينظر إلى الأرض فيعرف هل هنا ماء أم لا .

سار سليمان -عليه السلام- بجيشه الجرار حتى نزل بمكان بالقرب من

الحبشة . . وبدأ يطمئن على رعيته ، وفى أثناء تفقده للطير - لم يجد الهدهد . . ولأن الهدهد له مهمة عظيمة فى الجيش - غضب سليمان بل وتوعد الهدهد بالعذاب أو الذبح ﴿مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحه أو ليأتينى بسلطان مبين﴾ . وأصبحت الفرصة الوحيدة أمام الهدهد لينجو أن يأتى لسليمان بعذر مقبول صادق .

● مُلْكٌ وَمَلَكَةٌ

وفجأة جاء الهدهد . . الذى خلق فى الفضاء من مقر جيش سليمان حتى دخل اليمن «سبأ» ورجع ومعه النبأ العظيم . . يقول لسليمان : لقد رأيت عجباً . وجدت امرأة ملكة لها عرش عظيم ويحيط بها حكماء ولها جيش قوى . . ولكنها وقومها يعبدون الشمس ويسجدون لها من دون الله . . تعجب سليمان من قول الهدهد . . وأراد أن يختبر صدقه . . فأعد له رسالة وكلفه بحملها إلى الملكة . . حتى يأتيه الرد .

● الرسالة

لاشك أن سليمان عليه السلام - حزن لهذا الوضع - أن قوماً أعطاهم الله

هذه النعم العظيمة ويعيشون فى هذا الجهل بل فى هذا الكفر . . وكتب عليه السلام رسالة وكلف الهدهد بحملها إلى الملكة ﴿إذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون﴾ . . وكانت الرسالة رقيقة مهذبة - ذهب بها الهدهد وألقاها على عرش بلقيس ملكة سبأ التى أمسكت بها وكان مضمونها: ﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ألا تعلو علىّ وأتوني مسلمين﴾ .

● مَلَكَةُ مُؤَدَّبَةٍ

كانت «بلقيس» ملكة سبأ على قدر من العلم والخلق الرفيع . . وذلك أنها لما وصلتها رسالة سليمان التى حملها لها الهدهد . . طلبت من المسئول لديها أن يبلغ الوزراء والحكماء باجتماع سريع . . وجلست على عرشها وعرضت الرسالة على قومها قائلة ﴿يا أيها الملأ إني ألقى الىّ كتاب كريم إنه من سليمان إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ألا تعلو علىّ وأتوني مسلمين﴾ . فلما سمع رجالها ما قرأته عليهم صمتوا مفوضين الأمر لها . . ولكنها عادت تقول لهم فى هدوء وأدب ﴿يا أيها الملأ أفتوني فى أمرى ماكنت قاطعة أمراً حتى تشهدون﴾ . . فيردون إليها الأمر مرة أخرى لأنهم أمام أمر محير ولكنهم يبدون استعدادهم بقوتهم لتنفيذ ما تراه الملكة ﴿نحن وأولوا قوة وأولوا بأسٍ شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ .

● الهدية مرفوضة

فكرت الملكة قليلاً ثم قالت لقومها : إن علمى وخبرتى تجعلنى أفكر فى تقديم هدية لهذا الملك العظيم سليمان . . لأن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها واستذلوا أهلها . ونحن الآن علينا أن نتصرف وبسرعة قبل أن يأتينا سليمان وجنده

وأرسلت الملكة هدايا عظيمة جمال محمله بالذهب والفضة وتحف وتماميل وملابس . كل هذا إلى سليمان . . لقد أخطأت التفكير هذه الملكة . . لأن سليمان ليس بملك فقط ولكنه ملك نبي صاحب رسالة من الله ليبلغها للبشر وماكان له أن يأخذ رشوة فى دين الله .

وصلت الهدايا إلى سليمان -عليه السلام- فغضب وثار وأعلن أنه لايقبل الهدية وليس هو من أهل الرشوة إنما هو صاحب رسالة وقال : ﴿ أتمدوننى بمال فما آتانى الله خيراً مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ . . ثم أعطى لرسول الملكة رسالة سريعة وخطيرة . . ﴿ إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾ .

● وجاءت بلقيس

كان سليمان - عليه السلام - يجلس كل يوم فى الضحى وحوله رجاله

يستمعون لعلمه ويسألونه فى أمورهم . . فلما كانت قضية « ملكة سبأ » قرر سليمان -عليه السلام- إحضار عرشها قبل أن تأتى هى وعرض الأمر على من حوله ، وكان ذلك فى المجلس فتطوع «عفريت من الجن قائلاً : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك وكان مجلس سليمان يستغرق ساعة تقريباً . . ولكن رجلاً من جلساء سليمان على درجة كبيرة من العلم قال : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . وماهى إلا لحظة وكان عرش بلقيس أمام سليمان -عليه السلام- .

كانت «بلقيس» بعد أن ردت إليها هديتها خرجت فى موكبها العظيم متجهة ومعها كثير من الجن إلى سليمان . . وكان بعد خروجها إحضار عرشها ولذلك أمر سليمان أن ينكروا لها العرش فلما حضرت قال لها سليمان : أهذا عرشك؟ نظرت فى دهشة ثم تأملته وهى تقول : كأنه هو . . إنما قالت ذلك لأنها لا تتوقع أن يكون لسليمان قدرة على إحضار عرشها بهذه السرعة وبهذه الطريقة . . ولكن لأنها كافرة لم تفكر أن كل هذا بقدرة الله العلى القدير .

● الاعتراف بالحق

استقبل سليمان -عليه السلام- الملكة بلقيس فى مجلسه ثم نهض مرحباً بها يصطحبها إلى داخل القصر وتوجه الجميع إلى القصر . وعند باب القصر قدم

سليمان بلقيس احتراماً لتدخل أمامه وإذا بها تكشف عن ساقها. ظناً منها أنها تخوض ماءً .. لأن القصر مصنوع من زجاج وانعكاس صور الأعمدة والأشياء جعلها تظن أنه بحر به أمواج - فأفهمها سليمان - عليه السلام - أنه قصر من قوارير صنعه الجن .. هنا أقرت بلقيس بعظمة النعمة التي وهبها الله لسليمان وخزت ساجدة وهي تقول : ﴿ رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ .

وقد وردت قصة سليمان وبلقيس في القرآن الكريم . يقول الله - عز وجل - : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا

عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴿ صدق الله العظيم ﴾ [سورة النمل : ٢٠ - ٤٤] .

● (سفينة نوح)

أبنائي الأعزاء - مع قصة جديدة من قصص القرآن الكريم نعيش - مع سفينة نوح -عليه السلام- . كان نوح نبياً صالحاً يحمل دعوة الله إلى عباد الله وظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين . يدعوهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام . يدعوهم إلى التمسك بالفضائل وترك الرذائل . ولكنهم أبوا أن يطيعوه . بل استهزءوا بدعوته واستكبرا عليه وحقوا أمره . ومع كل ذلك ظل يدعوهم ليلاً ونهاراً ولكن بدون فائدة ، فشكى أمره إلى الله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً ۖ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً ۖ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً ﴾ (١)

● (صناعة السفينة)

لقد استنفذ نوح -عليه السلام- جميع الأساليب مع قومه ، وشكا أمره إلى ربه ، فأمره الله عز وجل أن يصنع سفينة ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ (٢). وبدأ نوح -عليه السلام- فى صناعة

(٢) هود : (٣٧) .

(١) نوح : (٥ ، ٧)

السفينة فأحضر ألواح الخشب والمسامير ، ويمر عليه القوم الكافرون وهم يسخرون منه ويسألونه أين ستعوم هذه السفينة يانوح؟! حتى أنهم إتهموه بالجنون ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ (١) .

ويذكر لنا - يا أبنائي - بعض العلماء : أنه استجاب الله له أمره ، أن يغرس شجراً ليعمل منه السفينة ، فغرسه وأنتظره مائة سنة ، ثم نجره فى مائة أخرى وقيل فى أربعين سنة . . والله أعلم . . كانت سفينة نوح طويلة عريضة لتحمل الكثير . . وقد تم صنعها بدقة وبعناية إلهية - فإن الله كان يلهمه كيف يصنعها حتى تكون فى الحجم والإتقان المطلوب .

❁ (ماذا فى السفينة ؟)

لم يختر نوح - عليه السلام - يا أبنائي - ما تحمله السفينة ولكن الله أعلمه بكل شيء ، أمره بأن يحمل فى السفينة عندما يصدر إليه الأمر . . من آمن معه ، ثم من كل زوجين اثنين . . من الطيور ومن الحيوانات ومن النباتات ، ومن كل شيء ، وذلك لحكمة إلهية وليكون ذلك بداية المجتمع الجديد بعد انتهاء الطوفان .

(١) هود : ٣٨ .

❶ (وجاء الأمر)

واكتملت السفينة وأصبحت جاهزة ، وأوصى الله - عز وجل - إلى نوح ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿١﴾ وجاء أمر الله - وخرج الماء من التنور (٢) . ونزل الماء من السماء ، والتقى الماء على أمر قد قدره الله العلى القدير . وبدأت السفينة تتحرك ، ووضع نوح فيها ما أمره الله ، وركب المؤمنون أهل نوح إلا من سبق عليه القول - أي الكافرون - ودعا نوح ربه ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٣) .

وزاد الماء وأصبح الأمر خطير . . ونوح - عليه السلام - ينادى ابنه - بابنى أركب معنا - ولكنه الابن العاق الكافر الذى حاول التحدى لأمر الله - فقال : سأوى إلى جبل يعصمنى من الماء . . رد نوح : لا عاصم اليوم من أمر الله . . وعلت الأمواج وأنجى الله المؤمنين وسارت السفينة وغرق الكافرون . . إنه عذابهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب أليم .

❷ مجتمع جديد

وارتفعت السفينة على سطح الماء وسارت بعناية الله ، وحمد الله نوح أن نجاه وأهله وأغرق القوم الظالمين ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا

(١) هود : (٣٦ ، ٣٧) (٢) التنور : الفرن الذى نضع فيه العيش .

(٣) نوح : ٦ .

مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿١﴾.

وغرق أهل الكفر وأراد الله أن يؤسس مجتمعاً جديداً على التقوى فقال الله - عز وجل - : ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

وابتلعت الأرض ماءها وأوقفت السماء مطرها وانتهت الرحلة بأمن وسلام وتمت إرادة الله ونزل نوح على الأرض بسلام هو ومن معه ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣).

وبدأت الحياة من جديد على أساسين من الإيمان والتقوى .

أبنائي الأعزاء - كانت هذه قصة سفينة نوح -عليه السلام - التي لم نعرف أين هي الآن؟ وهل تأكلت من عوامل الزمان أم هي في مكان لانعرفه؟! الله اعلم .

وقد وردت قصة السفينة في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم . . ولكن الله شرف نوحاً وسفينته بأن جعل سورة في القرآن باسم نوح . . وذكر الله نوحاً والسفينة في سورة هود : ﴿وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣٦) وَأَصْنَعِ الْفُلَّك بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا

(١) المؤمنون : (٢٨ ، ٢٩)

(٣) هود : ٤٨

(٢) هود : ٤٤

تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلُكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ
مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨)
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّى إِذَا
جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ
عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ
مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ
وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢)
قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ
رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا
سَّمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ
وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ
فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ
إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ
الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ
مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِتَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴿[هود: ٣٦-٤٨].

● (أصحابُ القرية)

أبنائى الأعزاء - إن الظلم لا يعرف زماناً بعينه ولا مكاناً بحدوده . .
فالتاريخ به الكثير من قصص الظالمين وآثارهم السيئة . . وماذا فعل الله بهم؟
والنهاية الأليمة التى وصلو إليها- وقد وردت فى سورة «يَس» قصة أهل هذه
القرية - التى كانت تموج بالفساد ويعمها الظلم ولا مكان فيها لراشد أو ناصح . .
يحكمهم ملك طاغية فاجر . . يستهوى عقولهم ويستخف بفكرهم فيعبدون
الأصنام كما هو يعبد ويفسدون كما هو يفسد ، فهو قائدهم إلى الخراب
وزعيمهم إلى الهلاك .

● التاجر والقرية

فى قرية من القرى تُسمى «انطاكية» كان يعيش الناس فى جهل وظلام . .
يعبدون الأوثان ولا يعرفون القيم والأخلاق . . يسخرون من فقيرهم ويستهزئون
بكل ما هو فضيلة . . يحكمهم ملك جاهل متغطرس استحوذ على قلوبهم
فقادهم إلى نهايتهم المؤلمة .

كان فى القرية «رجل» آتاه الله رشدَه وهدى قلبه يُسمى «حبيب» وكان له
دكان يبيع ويشترى فيه . أخذ حبيب الغيظ مما رأى من الملك وأهل القرية من

فساد وإفساد - ولكن ماذا يفعل؟! إنه رجل واحد - وكلما نصح أحداً من أهل القرية سرّاً ودعاه إلى عبادة الله وحده - سخر منه وحذره من دعوته هذه .

● الفرار إلى الله

بدأ - حبيب المؤمن - أمام تفشى الظلم والجهر بالسوء أن يعلن نصحه وبأعلى صوت يقدم رشده - ولكنهم رفضوا دعوته وبدأ الملك يأمر بمضايقته فى كل مكان . . فوجد نفسه فى خطر وأنهم يرفضون دعوته تماماً . . ففكر قليلاً ثم هداه الله . . أن يفر بدينه . فذهب إلى الصحراء وهناك دخل كهفاً وجلس يتعبد فيه - وإذا خرج لشأنه عاد لكهفه مرة أخرى - ولكنه حزين فقد ترك دكانه ولم يعد يعمل ، ولكن يسأل الله أن يجعل له مخرجاً .

● رسولان كريمان

وفى يوم من الأيام وكان أهل «انطاكية» فى السوق ، وإذا برجلين يقفان عند باب السوق ويدعوان الناس إلى عبادة الله وحده وإلى التمسك بالفضائل وترك الرذائل . . فتعجب الناس منهما وقالوا: إنها نفس دعوة «حبيب النجار» . . وبعد دهشة سألهما الناس من أنتما؟

قالا : ﴿إنا إليكم مرسلون﴾ ؟

قالوا: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾

قالا : ﴿قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ وما علينا إلا البلاغ المبين . .

وهاج الناس منهما وعلم الملك بهذا الخبر فقال: أمثل دعوة «حبيب» يدعون؟

وحدثت مواجهة بين الملك وحاشيته ورسلُ الله انتصر فيها الرسلُ

قيل إن الرسل كانوا اثنين «صادق» و«مصدق» وأن الله عززهما بثالث هو

«شالوم» .

والبعض يقول أن الثالث هو «حبيب النجار» الذي أنضم لهما بأمر من الله .

علم «حبيب» بأمر الرسولين «صادق» و«مصدق» فنزل الى القرية مسرعاً

فرآه الناس . وانضم للرسولين وأصبح الأمر على الملك وأتباعه بل على أهل

القرية كلها أمراً خطيراً . . وانتشرت الدعوة ، وخاف الملك . . وبدأ يفكر في

كيفية الانتقام من الرسل الثلاث «حبيب» ، و«صادق» ، و«مصدق» .

التهديد والخطر

وأمام هذا الخطر صدرت من الملك أوامره بتضييق الخناق على هؤلاء

الرسل : ﴿قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب ألیم﴾ . .

فأعرض الرسل عن التهديد والوعيد وقالوا : ﴿ قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أئنتم قوم مسرفون ﴾ . . وأشدت المواجهة بين الطرفين . . ورجع الناس مرة أخرى لحبيب النجار . . ما رأيك؟

﴿ قال يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ . . لأنهم جاؤكم بالصدق وبالحق المبين . . ولكنهم لم يقتنعوا بإرشاد حبيب وسخروا منه ، بل وهددوه وتوعده بالعذاب الأليم إذا لم ينضم لهم فى مواجهة هؤلاء الرسل فقال لهم : ﴿ ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون ءأتخذ من دونه آلهة ﴾ فأحدقوا عليه الأمر . فقال لهم : إنى أخاف الله الذى يملك الضر والنفع وأنى لن أكفر بربى مهما فعلتم بى . . وقالها صريحة : ﴿ إنى آمنت بربكم فاسمعون ﴾ فالتفوا حوله واتهموه أنه مصدر الشر لهم . وأنه لولاه لما آتاهم هؤلاء الرسل ففوض «حبيب» أمره إلى الله . . وماهى إلا لحظات حتى انهالوا عليه ضرباً حتى مات شهيداً ﴿ قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ .

● أهل الندامة

استمر هؤلاء فى طريقهم وفى غيهم ولم يتبعوا نصح «حبيب» ولا رسالة «صادق» و «مصدق» . . بل سجدوا للأصنام وقتلوا الأنبياء . فباءوا بالخسران فى الدنيا والندامة فى الآخرة ﴿ وما أنزلنا على قوم من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ﴾ لقد أخذهم الله بذنبهم ولم يمهلهم بل أخذهم عزيز مقتدر

عقاباً لهم وردعاً لغيرهم ولتظل سيرتهم عبر التاريخ لمن أراد أن يعتبر ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾* يا حسارة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون ﴿

يقول الله - عز وجل - فى أهل القرية الظالمة ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّنْ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا. فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ لَعَنَ لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠)﴾

● (عزير والبعث)

اليهود - أصحاب جدال ومراء . . وقد أمتن الله عليهم بكثير من الخيرات ولكنهم رفضوا الشكر بل طلبوا من نبيهم موسى الكثير والمزيد فأعطاهم الله وأسبغ عليهم من نعمة ظاهرة وباطنة . . وأنجاهم من الغرق وكتب لهم مع موسى - عليه السلام - النصر على فرعون وقومه فغرقوا . . ومع ذلك كله آلوا إلى الإِشراك بالله ﴿ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ (١) . ولما تركهم للموعد الذى أعطاه الله له - رجع موسى من الجبل فوجدهم غلبوا على أمر هارون - عليه السلام - وقادهم إبليس وصنعوا عجلاً يعبدونه . .

بنوا إسرائيل هذه هى طريقهم ، حتى إذا حدثت معجزة إلهية لعبد صالح هو «عزير» إذا بهم ينسبونه إلى الله ويقولون إنه ابن الله . . كما نسب النصارى عيسى بن مريم - عليه السلام - لله فقالوا : إنه ابن الله ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢)

● مَنْ هُوَ الْعَزِيرُ

«عزير» رجل عادى من بنى إسرائيل ، ولكنه كان متدينًا . صادقاً فى قوله

(٢) مريم : ٣٥ .

(١) الأعراف : ١٣٨

وفعله . آتاه الله الحكمة فى تصرفاته فيرجع إليه الناس فيقدم لهم النصح والوعظ من أسفار التوراة التى حفظها وهو صغير . . كان «عزير» متواضعاً يُحْكِمه الناس فى منازلهم . . وكان يعمل فى «حديقة» بها الكثير من خيرات الله - عنب ونخل وتين وزيتون - ولأن «عزير» رجل مخلص فكانت الحديقة جميلة هادئة - فكان إذا انتهى من كده وتعبه استراح تحت أشجارها مُفكراً متغيداً . . كانت هذه طريقة عزير كل يوم - ثم يعود إلى منزله حامداً الله وشاكراً .

● العزير وحقيقة البعث

فى يوم من الأيام . . كان "عزير" خارجاً من منزله راكباً حماره . معه بعض طعامه . متجهاً نحو الحديقة التى يقوم بحراستها والعمل فيها . . وفجأة توقف «عزير» عند مكان خرب هو آثار لقرية هلكت ومات أهلها من قرون . . فنظر إلى بقايا حطامها وعظام أهلها التى تحولت إلى فتات هش . . ثم قال : «أنى يحيى هذه الله بعد موتها» ؟! - إن عزير رجل مؤمن بالله مؤمن بالبعث . . ولكنه تساءل طالباً من ربه أن يطمئن قلبه .

كما حدث من إبراهيم - عليه السلام - عندما سأل ربه ﴿رب أرنى كيف تمحى الموتى؟ قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾ .

● الدرس العملى

فلما قال «عزير» ذلك - أراد الله - يا أبنائى الأعزاء - أن يعطيه درساً عملياً حقيقياً فى البعث - فأماته هو وحماره ، ومات العزير - ومرت الأيام والشهور والسنون - وبعد مائة عام . أراد الله أن يحييه . . فبعثه . . وقال له ﴿كم لبثت﴾؟ فتلفت عزير حوله ثم قال : ﴿لبثت يوماً أو بعض يوم﴾ .

فقال الله له ﴿بل لبثت مائة عام﴾ - تعجب العزير وقال : يابحان الله - إنها لقدرتك وأنت العزير الحكيم . . فزاده الله اطمئناناً فقال له : ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ - هذا طعامك وشرابك يا عزير مرت عليه الأيام والشهور ولم يتغير . . حمد الله «عزير» وشكره . . وبعد أن هدأ قال : أين حمارى إذن الذى كنت أركبه فرآه عظماً تتجمع شيئاً فشيئاً ثم نهض الحمار واقفاً . فقال الله له : ﴿وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ .

● عزير يعود إلى قريته

عاد «عزير» يا أبنائى - إلى قريته فلم يعرفه أحد - إنها مائة عام - بل خاف الناس منه وكذبه بعضهم وهو يقول « أنا عزير بن جردة» حتى وصل إلى دار أبيه

وهو متشكك أهو أم لا - فدق الباب ردت عليه امرأة عجوز عمياء

قالت : من ؟

قال لها : أهذا بيت عزيز؟ .. فبكت العجوز وقالت : نعم إنه بيت عزيز

الذى نسيه الناس ولم يذكر أحد اسمه منذ سنين .. ثم قالت : ماذا تريد؟

قال : أنا عزيز .. قالت : يا هذا لا تهزأ بنا .. قال : إن الله أماتنى مائة

عام ثم بعثنى والله على كل شىء قدير .. فتحت العجوز العمياء الدار وقالت

له : إن كنت صادقاً فإن عزيزاً كان رجلاً صالحاً مستجاب الدعوة فادعُ الله أن يرد

على بصرى . وبذلك أراك وأعرفك .. فتوجه عزيزاً إلى الله ودعاه فارتد إليها

بصرها فرأت «عزيزاً» وفرحت به .. وصاحت فى الناس هذا ولدى «عزيز»

والناس يضحكون منها سخرية واستهزاءً .. ويقولون : إنها تهزى لكبر سنها

فهى عجوز .. فتقول لهم : ألم أكن أنا العجوز العمياء المقعدة .. وها أنا ببركة

دعاء «عزيز» مبصرة ماشية - ويتعجب الناس . وهنا جاء رجل شيخ إنه ابن

العزيز .. فقال : إن والدى كان به علامة سوداء بين كتفيه وقام ووضع يده بين

كتفى «عزيز» فوجد العلامة .. وهنا صدقه الناس وتذكروا التاريخ الماضى

والأحداث التى كانوا يعيشونها .. وإن كان بعض بنى اسرائيل افتروا الكذب

على الله ﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾ .. ولكن الله رد على كذبهم بقوله

سبحانه ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ .

وقد وردت قصة «عزير» في القرآن الكريم بقول الله عز وجل :

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ
اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا
فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سورة البقرة : [٢٥٩].

● (أصحاب الفيل)

أبنائي الأعزاء - هذه قصة أخرى - تروى صراع الحق والباطل صراع الإيمان والكفر . . كانت بلاد اليمن يحكمها ملك جبار « اسمه أبرهة » وكان على دين أبائه نصرانيا متعصباً فظاً غليظاً لونه أسود ضمن الجسد كان بشفتيه قطعاً ولذا سُمى بأبرهة الأشرم - وكان حبشياً وكان أهل اليمن من النصارى يدينون له بالولاء الأعمى ، فقد غرس فيهم التعصب للمسيحية .

أما عرب اليمن فكانوا يدينون لمكة حيث البيت الحرام هناك يحجون إليه كل عام ويشدون الرحال ذهاباً وإياباً سعداء بذلك .

● الملك الأحمق

وذات يوم سأل « أبرهة » حاشيته ما هذا البيت الذى يحج إليه العرب من بلدان اليمن؟ وما سر انجذابهم إليه؟!

قال له من حوله : أنه بيت فى مكة متواضع البناء لاقن فيه ولازخرفة - بناه جداهم إسماعيل مع أبيه إبراهيم - وهم يلتمسون فيه البركة ويطفون حوله سعداء . . فأخذ الغيظ الملك « أبرهة » وجلس يفكر كيف يصرف عرب اليمن عن هذا البيت . ويجعل ولاءهم له وحده . . ثم جمع رجاله وأمرهم ببناء كنيسة على

طراز فنى رائع ذات زخارف وقباب حتى يطلب من العرب أن يطوفوا حولها
ويستغنوا بها عن الكعبة . . إنه ملك غبى أحمق . .

وتم - يا أبنائى - بناء الكنيسة ولكن العرب لم يهتموا بها ولم يطوفوا
حولها بل سخرها منها . . ولم يعكفوا عن الذهاب إلى مكة .

أشد غيظ «أبرهة» وأقسم ليهدم بيت العرب ويجعله تراباً ولا يبقى لهم
بيت مقدس إلا هذه الكنيسة - ووسوس له الشيطان وأعوانه بأنه فى هدم
الكعبة مغنماً كبيراً له - فسوف ينال بهذا العمل احترام الجميع وتصبح له السيادة
على بلاد العرب ويزداد دخله المالى .

● الغزاة فى الطريق

أعد أبرهة جيشاً كثيراً جراراً ، وأعد له أقوى الأسلحة ، وأعد له عدداً من
الغذاء يكفى لشهور وجعل فى مقدمة الجيش «فيلاً عظيماً» ضخماً لم تعرف
العرب مثله من قبل . . وكان أبرهة «يقول : لأجعلن الفيل يرفع أحجار الكعبة
لتنطير فى الصحراء . .

وتقدم الجيش صوب مكة يقطع الطريق ليلاً ونهاراً . . وعلمت بعض قبائل
العرب بخروج أبرهة قاصداً مكة لهدم الكعبة . . فأخذتهم الغيرة على بيت الأباء

والأجداد فتصدوا له ولكنهم فشلوا ورجعوا مهزومين أمام جيش أبرهة . . وهذا زاد غرور الملك الأحمق وتصميمه على هدم الكعبة .

● البيت له ربٌ يحميه

وهكذا- أبنائي الأعزاء - وصل أبرهة بجيشه وفيله إلى ضواحي مكة وعسكر خارجها . . وكان عبد المطلب جد النبي ﷺ قد أمر أهل مكة أن يتركوا بيوتهم ويسكنوا الشعاب بالجبال ويتركوا مكة لأبرهة وجيشه - كان هذا التفكير من عبد المطلب إيماناً منه أن الله سيحمي بيته الحرام - الكعبة المشرفة - .

وفى الطريق وجد « أبرهة » إبلا كثيرة ترعى فى الصحراء . . فأمر جنوده بالاستيلاء عليها . . كانت هذه الإبل - يا أبنائي - ملكا لسيد العرب عبد المطلب وما أن علم عبد المطلب بذلك حتى توجه إلى أبرهة وأستأذن فى الدخول عليه «خيمته» فرحب به «أبرهة» وظن أنه أتى ليسلم له الكعبة ليهدمها . . ولكن عبدالمطلب قال لأبرهة : أريد إبلى أيها الملك . . فضحك «أبرهة» وقال : لقد خاب ظنى فىك جئت تسأل عن الإبل ولا تسأل عن الكعبة بيت أبائك وأجدادك؟ فرد عليه عبد المطلب سباخراً منه وقال : يا هذا إن الإبل إبلى أما البيت فله رب يحميه .

● الطير الأبايل

تقدم الملك الأحمق بجيشه الجرار وجنوده التى تحمل السهام والدروع يتقدمهم الفيل الضخم صاحب الخرطوم والأنياب . . ليفزع العرب ويخوفهم فيتركون له مكة . ولكنه لم يجد أحد فأخذه السرور لأنه سيهدم الكعبة فوراً ويحقق حلمه .

فجأة رفض الفيل أن يتقدم خطوة واحدة فضربه سائقه ولكن الفيل رفض أن يتقدم تجاه الكعبة - فضربه مرة ومرة حتى تعب الفيل ورقد فى الأرض . . وبعد أن استراح أمره سائقه أن يتجه نحو الكعبة فرفض . . فأمره أن يتجه نحو اليمن فأسرع الخطى . . إنه أمر عجيب مُحير . . فأشار بعض رجال «أبرهة» عليه أن يرجع بالجيش وأنه لافائدة من هذه المحاولات . . ولكن «أبرهة» ثار وسب وشتم فى الكعبة والعرب كلهم . . وأقسم ليهدم الكعبة وليتقمّن من العرب . .

وكانت إرادة الله . . بأن صدر الأمر الإلهى لطير من جهنم «هو الطير الأبايل» يحمل بين رجليه حبات فى حجم الحمصة ويحلق فوق رؤوس الجنود ويلقى بالحبة فتخترق رأس الفارس وفرسه حتى يصير كأنه عظم محروق - وتفشى مرض الطاعون فى بقية الجيش لكثرة جثث القتلى وقد خاب من أفترى . . وقد جاء ذكر قصة أهل الفيل فى سورة باسمهم فى القرآن الكريم - يقول الحق سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ (٥) ﴾ [الفيل : ١ - ٥]

● (بقرة بنى إسرائيل)

أبنائى الأعزاء - مع قصة من قصص القرآن الكريم التى وردت فى بنى إسرائيل فى سورة البقرة - والسورة مع أنها شملت العقائد والعبادات والمعاملات - إلا أنها سميت بالبقرة - وذلك لأن قصة البقرة تحجب على أكثر تساؤل بشرى وهو «البعث» ، وسورة البقرة هى أكبر سور القرآن فى عدد آياتها وبالسورة الكثير من المعانى العظيمة التى لم تتوفر فى سورة أخرى .

● حال رجل غنى

كان فى بنى إسرائيل رجل كُبار يبلغ من السن مايزيد عن المائة . . وكان ذا ثراء مالى ويحبُّ المال حبًّا جمًّا ويجمعه بشتى الوسائل وكلما إزدادت ثروته فرح بها وطمع أكثر . . ولكنه كان مشهوراً بالبخل حتى على نفسه فيراه الناس فى ثياب قديمة قذرة لاتليق بما أنعم الله عليه من مال . . وكان هذا الرجل يرفض الزواج ويعيش وحده عيشه البخلاء . . وكان له أخ فقير جداً معه عدد من الأولاد مات هذا الأخ وترك أولاده فكانوا يسألون عمهم الغنى أن يعطيهم فيرفض . . فصبروا حتى يموت ثم يرثوه . . ولكن الرجل طال به العمر .

وكان من أبناء أخيه شاب أشتهر بسوء الخلق وفساد القلب فاستعجل موت

عمه . . ليرثه ولكن ماذا يصنع؟

● غدر وخيانة

دبر هذا الشاب جريمته سراً وتسلسل ليلاً إلى بيت عمه ودخل عليه وهو نائم وهوى على رأسه بالفأس فقتله . . ثم فكر ماذا يصنع فى جسثه؟ فحملها وخرج بها من المنزل والقاها فى الشارع أمام بيت رجل صالح لم يعرف عنه الفساد الخلقى أو الفعل الإجرامى .

أصبح الناس وقد رأوا هذا القتل وتعجب الكل ياترى من الذى قتله؟ . . إن صاحب هذا المنزل رجل صالح . . وفجأة حضر ابن أحيه المجرم . . يبكى على عمه ويعلن أنه لابد أن ينتقم من الذى قتل عمه . وكثرت الأقاويل وتشكك الناس ، واتهم بعضهم بعضاً . . وأخيراً اهتمدوا أن يذهبوا إلى موسى -عليه السلام- ليحكم بينهم .

● موسى والبقرة

وطال الجدل وكثر الاتهام ، ، الأخ الجانى الحقيقى - يقول : لابد من القصاص ممن قتل عمى العزيز . . واختلف الناس فى الطريقة التى يعرفون بها الجانى . . وأخيراً اهتمدوا أن يتوجهوا إلى نبي الله «موسى» -عليه السلام- ويحكموه فى هذا الوضع . . فلما ذهبوا إلى موسى -عليه السلام- وقصوا عليه

ما رأوه وعجزهم عن معرفة القاتل .. قال لهم : انتظروا حتى أسأل ربي ..
وفى اليوم التالى قال لهم : ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ فتعجب الناس من
هذا .. نحن نسألك عن القاتل وأنت تقول : أن الله يأمرنا أن نذبح بقرة ..
ياموسى : هل تهزأ بنا أم تسخر منا؟! .. قال : ﴿أعوذ بالله أن أكون من
الجاهلين﴾ .

● الجدل والتردد

أبنائى الأعزاء - معروف عن بنى إسرائيل أنهم قوم أهل جدال وشك وتردد
.. وقد أتعبوا موسى فى كثير من الأمور .. فلما قال لهم ﴿إن الله يأمركم أن
تذبحوا بقرة﴾ فلو أنهم ذبحوها ولم يسألوا عن صفاتها لكفتهم أى بقرة وبذلك
يكونوا قد نفذوا أمر الله .. ولكن كما هو المعتاد من بنى إسرائيل سألوا موسى :
﴿أدع لنا ربك يبين لنا ماهى إن البقرة تشابه علينا﴾ قال لهم موسى -عليه السلام-:
﴿قال أنه يقول إنها بقرة لاذلول تنير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها﴾
وكان هذا ثالث أو رابع تساؤل حول البقرة التى ذبحوها فيما بعد على مضض
منهم فقد سألوا سابقا عن عمرها وعن لونها ، ولكنهم بعد جدالهم هذا مع
موسى .. ذهبوا ليجتثوا عن بقرة بهذه المواصفات .. وبعد بحث وعناء وجدوها

عند شاب فقير تركها له والده بعد وفاته وهو لا يملك غيرها . . فلما طلبوها منه رفض بشدة فعرضوا عليه مبلغاً من المال ثمناً لها فرفض فزادوه وظلوا يزيّدونه ويلحون عليه حتى قبل ، وأخذوا البقرة وتوجهوا الى موسى -عليه السلام - ياموسى هذه هى البقرة وها نحن نذبحها الآن .

● حكمة وموعظة

وذبحوا البقرة - فقال لهم موسى : ﴿أضربوه ببعضها﴾ يعنى احضروا الشيخ المقتول أمامكم ثم اضربوا جسده ببعض لحم البقرة . . وبدأوا فعلاً يضربونه ببعض لحم البقرة وفجأة وقف الشيخ القتيل وفرّ الناس خوفاً ورعباً ، فأمرهم موسى -عليه السلام- بالثبات ، وإذ بالقتيل الذى أصبح حياً يشير الى ابن أخيه ويقول : هذا قاتلى .

عرف الآن بنوا إسرائيل الحكمة الإلهية من ذبح البقرة - التى أصبحت درساً فى قدرة الله على أحياء الموتى ﴿كذلك يحيى الله الموتى﴾

هؤلاء - يا أبنائى الأعزاء - بنوا إسرائيل الذين أتعبوا أنفسهم وأتبعوا نبى الله موسى -عليه السلام- ، وقد وردت قصة البقرة فى سورة البقرة - يقول الحق سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا

هَزُوءًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴿ [سورة البقرة ٦٧ : ٧٣] .

● (جنتان ورجلان)

أبنائي الأعزاء - المال ثروة ونعمة والله - عز وجل - يسألنا يوم القيامة عنها . . . وقد ربط الله الرزق بالتقوى والاستغفار ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣)﴾ [نوح : ١٠-١٣].

● جاران مختلفان

أبنائي - وكما هو حال الدنيا فيها الغنى والفقير والناس لا يقاسون عند الله بكثرة المال أو ضخامة الأبدان وإنما - يقول سبحانه وتعالى - ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَتْقَاكُمْ﴾.

وكان «الحارث» رجلاً غنياً واسع الثراء عنده بستان فاخر المنظر ذاخر بالخضروات والفواكة من شتى الأنواع ، وكان عنده حراس وخدم وعبيد . . كان الحارث يسكن داراً ملكاً له « إنها كالقصر المشيد لأنها فخمة المباني فاخرة الأثاث . . ، وكان بجواره دار لرجل اسمه «عبد الله» رجل بسيط الحال فقير المال كثير العيال ؛ . . ولكنه غنى النفس يعيش فى دار متواضعة الحال . . وكان «عبد الله» رجل مؤمن بالله ورسوله . . حبيب الله إليه الإيمان وزين قلبه بالتقوى؛

.. وكان أحب شيء إليه الجهاد فى سبيل الله ؛ .. يليه فى الحب العمل الشريف
فى حديقة متواضعة صغيرة ، ومع كل ذلك كان «عبد الله» رجل غنى النفس
مستريح البال قوى الإيمان صالح العمل .

● المحاورة

ذات يوم كان « الحارث » ذاهباً الى حديقته الغناء فى فخر من نفسه وزهو
فى ثيابه وغرور بماله ، .. عند باب الحديقة التقى بجاره «عبد الله» الرجل المؤمن
المتواضع ، ودار بينهما حوار .

الحارث يفخر على «عبد الله» ، ويقول له : انظر يا عبد الله الى جنتى ،
«أى حديقتى» وما فيها من زروع وثمارٍ وخدمٍ وعبيد .. هل لديك مثل هذا؟ أو
تقدر عليه؟

قال عبد الله : - فى تواضع يا هذا اتق الله ، فإن الذى رزقك يستطيع أن
يرزقنى .. ضحك «الحارث» فى سخرية وقال له : ادعوه .. ولسوف أرى .

قال عبد الله : - يا حارث أنت جارى وإنى لأحب لك الخير كما أحبه
لنفسى فإننى أدعوك إلى الإيمان بالله وطاعة رسول الله ﷺ ، فإن ذلك خير لك
من الدنيا وما فيها .

يقول الحارث : إذن أنت تريد لى أن أكفر بآلهة الآباء والاجداد وتدعونى
لأنفق أموالى حتى أصبح فقيراً مثلك .

قال عبد الله : يا حارث ليس المال هو الغنى فقط إنما الغنى الحقيقى أن
ترضى بما قسم الله لك ، وأن تؤمن بالبعث وتؤمن بأن كل شىء خلقه الله وقدره
تقديراً .

قال الحارث : أتظن يا عبد الله أن جتنى هذه سوف تزول فى يوم من
الأيام؟! .

قال عبد الله : يا حارث إن العبد إذا رأى جنته وما فيها أو أى نعمة تفضل
الله بها عليه من ثمار .

يقول : بسم الله ما شاء الله ، . . لأنه سبحانه هو الذى يُنبئها ويجعلها
ثماراً ناضجة ونافعة .

قال الحارث : يا عبد الله إن غنى الدنيا هو غنى الآخرة وسوف أُرَد كما
تقول إلى ربى يعطينى جنة أفضل من جنتك ، وحياء أسعد من حياتك ، وأكن أنا
الغنى وأنت الفقير .

● الدين النصيحة

ظل « عبد الله » يحذر الحارث من الكفر بالله ، . . ويعظه ويذكره ؛ . . .
ولكن الحارث متغطرس يرفض أى نصح ويدعى لنفسه المقدرة على كل الأمور .
قال عبد الله للحارث : أرأيت لو أنك أصبحت فوجدت ثمارك هذه
محطمة وشجرها اقتلعت الرياح وماؤها أصبح غوراً ، فماذا ستفعل ؟ . . قال
الحارث : يا عبد الله هذا لن يحدث ولن يستطيع أحد أن يفعل بحديثي ما تقول :
قال عبد الله : يا حارث إنك بذلك تكفر بربك الذى خلقك من تراب .
قال الحارث : سوف أدعك يا عبد الله وما أنت فيه من تخاريف وانصرف
لحديثي الغناء وتنصرف أنت إلى حالك البائس .
قال عبد الله : لقد ذكرتك ونصحتك واستبرأت ذمتي منك أمام الله .

● نهاية الغرور

لم يمض - على هذا الحوار - سوى يوم واحد وذهب الحارث إلى حديثه
صباحاً وقبل أن يصل إليها اشتتم رائحة دخان وعطب «نتونه» فتعجب فلما دخل
الحديقة وجدها حطاماً وثمارها حُرقت وشجرها فلح ولم يبق منها شيء ، . .
فجلس يضرب كفا على كف ويقول : ﴿ ياليتنى لم أشرك بربى أحداً ﴾ . . وأقر

الحارث بأن الله هو المنتقم الجبار . . وأنه - سبحانه وتعالى - سريع الحساب .

وقد وردت هذه القصة فى القرآن الكريم يقول رب العالمين :

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كُلَّتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)﴾

[سورة الكهف ٣٢: ٤٤].

● خاتمة

الحمد لله رب العالمين - رب الأرض والسموات والذى بفضلله تتم
الأعمال الصالحات . ونصلى ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد
وعلى آله وصحابه أجمعين .

وبعد

فلقد جال بخاطرى أن أكتب لأبنائى الأعزاء بعض قصص القرآن الكريم ،
وسألت الله التوفيق وبعدها بعدة أيام وفقنى الله وقمت باختيار بعض القصص
التي رأيت أنها تقوم بدور تربوى فى حياة أبنائنا - فتقوى فيهم الإيمان وتقوم
السلوك ، وتزيدهم خبرة وعلمًا .. وقد راعيت أن يكون الحديث بأسلوب سلس
مقبول - وأحمد الله أن تم هذا العمل على خير وجه بتوفيقه - سبحانه - وإننى
لأشعر بالسعادة تجاه هذا الجهد المتواضع الذى أسأل الله أن يتقبله خالصاً لوجهه
الكريم

هذا وبالله التوفيق

محمد الصايم

القاهرة - المعادى الجديدة

صقر قريش

فهرس الكتاب

٥	* أبنائي الأعزاء
٧	* (صراع فوق الأرض)
٨	• كفاح الأب
٩	• فرصة الشيطان
١٠	• آدم والتحكيم
١١	• إبليس يعود
١١	• الجريمة
١٢	• النادم الخاسر
١٣	* (العبد الصالح يُعلم موسى)
١٣	• موسى الواعظ
١٤	• الفتى والحوث
١٥	• مرحباً بالعبد الصالح
١٦	• شروط العبد الصالح
١٧	• مع الرحلة
١٧	• الموعظة الأولى
١٨	• الموعظة الثانية
١٩	• الموعظة الثالثة
١٩	• الحكمة الإلهية
٢٢	* (فتية الكهف)
٢٢	• صراع بين الإيمان والكفر
٢٣	• المواجهة

- ٢٣ الفرار إلى الله .
- ٢٤ اطمئنان المؤمنين .
- ٢٥ بعث من رقاد .
- ٢٥ اكتشاف أمرهم .
- ٢٦ الوعد الحق .

- ٢٩ * (الملك الصالح ذو القرنين)
- ٢٩ نور وعدل .
- ٣١ فتح ميين .
- ٣١ رحلة العودة .
- ٣٢ انتصار جديد .
- ٣٣ بناء السد .

- ٣٥ * (قارن الباغي)
- ٣٥ الشكر والكفر .
- ٣٦ البلاغ المبين .
- ٣٧ الفاجر يتحدى .
- ٣٧ النهاية المؤلمة .

- ٣٩ * (سليمان وبلقيس)
- ٤٠ وادى النمل .
- ٤٠ مع الهدهد .
- ٤١ ملك وملكه .
- ٤١ الرسالة .
- ٤٢ ملكة مؤدبة .

٤٣	 الهدية مرفوضة .
٤٣	 وجاءت بلقيس .
٤٤	 الاعتراف بالحق .
٤٧	 * (سفينة نوح)
٤٧	 صناعة السفينة .
٤٨	 ماذا فى السفينة ؟ .
٤٩	 وجاء الأمر .
٤٩	 مجتمع جديد .
٥٢	 * (أصحاب القرية)
٥٢	 التاجر والقرية .
٥٣	 الفرار إلى الله .
٥٣	 رسولان كريمان .
٥٤	 التهديد والخطر .
٥٥	 أهل الندامة .
٥٧	 * (عزير والبعث)
٥٧	 من هو العزير .
٥٨	 العزير وحقيقة البعث .
٥٩	 الدرس العملي .
٥٩	 عزير يعود إلى القرية .
٦٢	 * (أصحاب الفيل)
٦٢	 الملك الأحمق

٦٣	 الغزاة فى الطريق
٦٤	 البيت له رب يحميه
٦٥	 الطير الأبايل.
٦٦	 * (بقرة بنى إسرائيل)
٦٦	 حال رجل غنى
٦٧	 غدر وخيانه
٦٧	 موسى والبقرة
٦٨	 الجدال والتردد
٦٩	 حكمة وموعظة
٧١	 * (جنتان ورجلان)
٧١	 جاران مختلفان
٧٢	 المحاورة
٧٤	 الدين النصيحة
٧٤	 نهاية الغرور.
٧٦	 خاتمة *
٧٨	 فهرس الكتاب *

تم بحمد الله

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين